

حركة الديمقراطيين الاشتراكيين

ندوة

”مجتمع العمل”

سلسلة نشر الوعي السياسي و الثقافي

و تنمية الحوار

تونس في 15 ديسمبر 2007

مقدمة:

تقدم حركة الديمقراطيين الاشتراكيين كتيب جديد من سلسلة نشر الوعي السياسي والثقافي وتنمية الحوار.

وهذه المرة نقدم لكم ندوة حول "مجتمع الحوار" عقدت بنزل الشيراتون بتونس يوم السبت 15 ديسمبر 2007 تحت إشراف الأخ الأمين العام السيد إسماعيل بولحية والذي قدم كلمة الافتتاح مستعرضا قيمة الكتاب وهو "مجتمع العمل" وقيمة الكاتب وهو السياسي والنقابي مصطفى الفيلالي.

وتولى الأستاذ الشاذلي العياري تقديم الكتاب واعتبره موسوعة عربية فريدة حول اقتصاديات العمل وفق نظرة اسلامية وفاءه لأفكاره كسياسي ونقابي يعتد بريادة الدولة في تدبير الشؤون العامة.

واعتبر الأستاذ الفيلالي الندوة بادرة هامة من الحركة للاهتمام بالجوانب المعرفية وهو منوالا لبقية الأحزاب يجب أن تنسجم عليه وجرى نقاشا عاما شارك فيه جملة من الشخصيات والجامعيين وبعض الحضور.

واختتمت الندوة بحفل تكريم على شرف الأستاذ الفيلالي تلاه توقيع على عدد من مؤلفه "مجتمع العمل" ثم إهداءه لعدد من الحاضرين.

و إليكم فعاليات الندوة...و شكرا

كلمة السيد إسماعيل بولحية في افتتاح الندوة

بسم الله الرحمن الرحيم

السادة المحاضرون، ضيوفنا الكرام،
الأخوات والأخوة المحترمين،

يسعدني في بداية هذه التظاهرة الثقافية أن أرحب باسم حركة الديمقراطيين الاشتراكيين بالضيوف الكرام قادة أحزاب ومنظمات وناشطين في المجتمع المدني ورجال إعلام وأشكركم على تلبية دعوتنا ومشاركتكم في إثراء الحوار الذي جعلناه في حركتنا ركيزة أساسية للتصدي للقضايا التي يواجهها مجتمعنا في هذه المرحلة الحاسمة من مسيرتنا وقد درجنا على عقد ندوات ثقافية تتناول قضايا الساعة وتؤسس لفكر منطلق قادر على التفاعل مع التطورات والمستجدات وما يعتمل داخل المجتمع من إرغاصات تحتاج من الجميع إلى وقفات للتأمل واستخلاص ما يجب استخلاصه حتى نتمكن كأحزاب ومنظمات ونخب ومناضلين من الارتقاء بأدائنا من خلال اكتساب الوعي الصحيح للتحديات وبكيفية مواجهتها.

رجل لا يعرف المجاملة والرياء

وهذا اللقاء اليوم وإن كان يندرج في إطار الندوات التي دأبت لجنة التنمية السياسية على تنظيمها كل ثلاثة أشهر فإنه يشكل فرصة لتكريم رجل من رجال تونس أوقف حياته لخدمة الشأن العام وتقلب في عديد المناصب إلا أنه لم يثبت في أي منها نظرا لطبعه الذي لا يعرف المجاملة وشكيمته التي لا تعرف الرياء فقد تقلب بين الوزارة والمسؤوليات الحزبية أيام كان الحزب الدستوري حزبا وحيدا كما تولى مناصب عليا

على النطاق الإقليمي في اللجنة الاستشارية الدائمة للمغرب العربي وقد عرف الأستاذ مصطفى الفيلاي بأنه رجل عنيد في تبني مبادئه لا يحيد عنها ولا يتساهل بشأنها.

كما عرف الرجل بأنه باحث كاتب محاضر مسموع وشيق الحديث وبالتالي فإن خيرته تجعله يتبوأ أعلى المكانات العلمية فهو على سبيل الذكر لا الحصر قطب من أقطاب مركز دراسات الوحدة العربية في لبنان هذا المركز الذي عرف بمساهمته الجادة في تحليل واستقراء الشأن العربي سياسيا واقتصاديا وثقافيا وتشريح خصائصه وعبره وعبر غيره أيضا أصدر أستاذنا مصطفى الفيلاي عددا من المؤلفات القيمة وأخرها الكتاب الذي بين أيدينا اليوم والذي هو عبارة عن وثيقة لا يمكن للباحث في شأن العمالة العربية أن يستغني عن معطياتها الأساسية وتحليلها العلمية سواء اتفقنا أو اختلفنا مع المحلل في شأن قواعد منطلقاته التي تبقى بالأساس على الحال الذي ارتكز عليها منذ شبابه بكل السخاء الفكري الذي عرف به والمعتقدات الإيديولوجية التي درج عليها.

وبالطبع فإنني لا أنوي أن أفسد على الأستاذ الكبير الدكتور الشاذلي العياري تقديمه للكتاب "مجتمع العمل" لصديقه مصطفى الفيلاي بملاحظاته الفذة التي تجد جذورها في اطلاعه الواسع.

أيتها السيدات، أيها السادة من ضيوفنا المجلين،

اسمحوا لي أن أعبر عن شكري وتقديري للأستاذة الذين سيتناولون الكلمة في هذه الأمسية اللطيفة التي أردناها ترنيمة إكبار للعمل والعمال والذين بادروا بالتنظير "المجتمع العمل" في ربوعنا لأن التي هي في جوهرها امتداد للحركة الوطنية تعمل على نشر ثقافة العمل كقيمة حضارية للإسهام في كسب رهان الإنتاجية والمنافسة وأدعو الصديق العزيز

والزميل الإعلامي المعروف عبد اللطيف الفوراتي تسيير أعمال ندوتنا وله جزيل الشكر و إليه الكلمة.

الأستاذ عبد اللطيف الفوراتي

أشكر حركة الديمقراطيين الاشتراكيين على ما تقوم به من تنظيم لمثل هذه الندوة التي أعتقد مثلها مثل بقية الندوات هي إثراء كبير للحركة الثقافية و السياسية في تونس، كما أريد أن أشكر الحركة أيضا و صديقي إسماعيل بولحية على هذه الثقة المتكررة المتمثلة في تكليفي بتنشيط عدد من الندوات التي تقوم بها الحركة و لا أريد أن أطيل عليكم أكثر و ليس لي ما أضيف على ما قاله السيد إسماعيل بولحية و في انتظار ما سنستمع إليه من كلمة أعتقد أنها ستكون مهمة للأستاذ الشاذلي العياري ثم للأستاذ علية العلاني و نختم بما سيقوله بيننا اليوم الأستاذ مصطفى الفيلاي و أحيل الكلمة الآن إلى الأستاذ علية العلاني فله الكلمة.

الأستاذ علية العلاني

شكرا للأستاذ عبد اللطيف ن إنن باسم لجنة التنمية السياسية لحركة الديمقراطيين الاشتراكيين نرحب بكم و بعجالة سأعرف بهذه الندوات و هذه اللقاءات الفكرية حيث أن حركتنا- حركة الديمقراطيين الاشتراكيين- توأكب باستمرار أهم المستجدات على الصعيد الوطني، و قد عقدت لجنة التنمية السياسية خلال هذه السنة 2007، أربع ندوات فكرية و سياسية رابعها هذا اليوم تمحورت حول قضايا سياسية و فكرية.

وكانت الأولى حول الشباب والعنف وذلك إثر الاشتباكات المسلحة الإرهابية بـ"سليمان" و قد حلل عديد المحاضرين دوافع الإرهاب وخلفياته وأثره في تهديم استقرار المجتمع. ثم كانت ندوة إعلاء قيم الجمهورية بمناسبة الذكرى الخمسين

للنظام الجمهوري ببلادنا وقد أكد المتدخلون في هذا اللقاء على مزيد تفعيل قيم الجمهورية بما يدعم أسسها وخاصة ما نسميه بجمهورية الغد بما تعنيه من دخول عصر ما بعد الحداثة وتكريس ثقافة حقوق الإنسان.

وبخصوص الندوة الثالثة، فقد تزامن عقدها مع شهر رمضان المعظم وتركزت المداخلات والنقاش فيها حول دور اللغة العربية في دعم الهوية العربية الإسلامية لبلادنا وإيلاؤها المكانة اللائقة في هياكل الدولة ومختلف المصالح الإدارية وأجهزة الإعلام السمعية البصرية باعتبار أن اللغة العربية من أبرز المكونات الحضارية لتاريخنا.

طرق قضايا إستراتيجية وحساسة

أما الندوة الرابعة والأخيرة فتتمحور حول العمل وقيمه في المجتمع وذلك بمناسبة تكريم الوزير السابق الأستاذ مصطفى الفيلالي إثر صدور كتابه الجديد عن مجتمع العمل والذي قدم له الوزير السابق الأستاذ الشاذلي العياري وذلك انطلاقاً من حرص حركتنا على إبراز ما لقيمة العمل من دور في تثبيت الاستقرار وتكريس للمواطنة وضمان لكرامة حقة.

وستواصل لجنة التنمية السياسية بحركتنا طرق قضايا أخرى إستراتيجية وحساسة إثراء لحوار وطني شامل يرفع بلادنا إلى مصاف الأمم المتحضرة، ويعمق بلا شك ديمقراطية الوفاق التي نعتقد أنها السبيل الوحيد لنحت مجتمع تعددي حقيقي يختفي فيه اللون الواحد والفكر الواحد مثلما جاء في خطاب سيادة رئيس الجمهورية زين العابدين بن علي في الذكرى العشرين لتحول السابع من نوفمبر.

ونعتقد كذلك أن سر نجاح مثل هذه الندوات يكمن أساساً في الصرامة في التحليل والصرامة في التبليغ والواقعية في التأويل. وشكراً.

الأستاذ عبد اللطيف الفوراتي:

و الآن الكلمة للدكتور الشاذلي العياري ليقوم بتقديم الكتاب.

الدكتور الشاذلي العياري

من النادر جداً أن يجمع أحد الرواة البناة للدولة التونسية المستقلة بين الحس السياسي و النضال النقابي و الاطلاع الاقتصادي و السوعي الاجتماعي و الاختبار الميداني و الاقتران التحليلي و التأليفي و الاستشرافي معاً، مثل مصطفى الفيلالي، و اضع هذا الكتاب الذي بأيدينا .

العمل قيمة إنسانية و حضارية سامية

ثم أن يكلف مصطفى الفيلالي نفسه عناء رد الاعتبار للعمل كقيمة إنسانية و حضارية و مجتمعية سامية خالدة، في زمن أعلن بعضهم فيه بعد عن " نهاية " التاريخ و الإنسان ... و العمل معاً و عن إحلال "العمر المعرفي" على أنقاض "العمر الزراعي-الصناعي" الذي يمثل فيه العمل الجسدي المكثف أحد عناصر إنتاج الثروة الأساسية و مكوناً رئيسياً من مكونات النسيج المجتمعي، ففي ذلك مغامرة جسورة تستحق منا التحية و الإكبار، فضلاً عن أنها تمثل إثراء معتبراً لخزينة العلوم الإنسانية - العربية عموماً و المغاربية خصوصاً.

موسوعة عربية مصغرة حول العمل

ولعلي لن أبالغ كثيراً إن قلت أن البحث المعروض علينا اليوم هو بمثابة موسوعة عربية مصغرة حول اقتصاديات العمل ، من حيث أبعاده و مقاصده الحضارية و التنموية الشمولية، و من حيث دوره في تأسيس التقدم الإنساني بل و في تأسيس أُنسنة الإنسان ذاته، و من حيث تفاعلاته مع عنصر الزمان - حاضره و مستقبله ، إهداره و تثمينه، اجتماعيته و تملكه،

برهاته المبدعة وفضاءاته الخاوية . ومن حيث زوجياته المؤسسة لهويته مثل ذلك الترابط المنطقي بين وجهي الوجود والاستحقاق فيه، ومن حيث علاقاته مع السلطة المتمثلة في الدولة ومع رأس المال المتمثل في المؤسسة الإنتاجية الخاصة، ومن حيث مسيراته النضالية ضمن حركات عمالية و تنظيمات نقابية من أجل الدفاع عن حقوق العمال المهنية والمادية والأدبية و حرياتهم المواطنة و من أجل بناء الديمقراطية و المدينة الصالحة أو ما يسميه المؤلف بـ"التعاون بالعمل الصالح على عمارة الكون و على استحقاق الاستخلاف في الأرض"، و من حيث حوامله القدسية و الإسلامية على وجه الخصوص.

العمل منبر للجهد الإنساني

إذ العمل "منبر، و كمنابر المساجد الإسلامية تتعقد بين يدي بركته أولوية الجهد، و تشد أحزمة الإرادة " العمل مهبط الوحي لتلقي رسالة الإبداع و موعد الواقع مع الحضور الإنساني اليقظ ، و العمل مصب النهر تتجمع بين ضغفه الطاقات الواعية و القدرات المخزونة و تهب عليها رياح الشوق الحافز المبين ... من أجل ذلك اقترن العمل بالإيمان في أوساع النفس المتحفزة الحية و أمحت الفجوة بين العمل و العباد.

ولكن إذا كانت القضية التي اختارها مصطفى الفيلاي لتكون موضوع الكتاب الذي بين أيدينا- أعني مجتمع العمل واجتماعية العمل - تقع على خط تماس تتلاقى عنده إشكاليات مثل التي أشرنا إليها في الفترات السابقة من هذه التوطئة، فلا غرو إذن إن كانت مطالعة ما تضمنه هذا المؤلف مدعاة لإثارة حوار ذي جوانب متنوعة ، بعضها ذو صبغة مذهبية و أخرى مؤسساتية و ثالثة سياسية و اقتصادية .

و لعل ما يجدر التنويه به في البداية هي سلامة نظرة الكاتب لما نسميه تقليدياً " المنظومة التنموية الشمولية " باعتبارها الإطار الاقتصادي و الاجتماعي الكلي أو التأليفي أو التحكيمي أو التضامني العقلاني الذي ينصهر ضمنه العمل- طلباً و عرضاً و مكافئة. و يؤكد مصطفى الفيلاي في هذا السياق على التداخل بين العلاقات المهنية و العلاقات الاقتصادية، فيقول في كتابه " بسبب ما بين الأجر و إثمان السوق من ترابط بما يستوجبه تحسين الإنتاجية من معالجة عوامل التغذية و مشاكل المواصلات، و من أحكام التنظيم لمراكز العمل، و لمستويات التأهيل الفني و بما لمواقيت العمل من ترابط مع كلفة الإنتاج و مع مشاكل المواصلات و التضخم الحضري... لكأنك وقعت في منطلق التسلسل الدائري يعسر أن تفصل عن خط الدائرة بعض قوسها، فتعالجه بمفرده"

هذه هي "اجتماعية" و "نقابية" مصطفى الفيلاي المميزتين و المبنيتين على رؤية تنموية شمولية للعلاقات الاجتماعية . رؤية لم تكن دوماً من بين القواسم المشتركة بين القيادات العمالية التونسية المتعاقبة منذ الاستقلال كما بيناه في إحدى مؤلفاتنا حول تاريخ المنظومة التنموية التونسية خلال الفترة 1962-1986.

البعد الاجتماعي يضيء الشرعية التنموية للدولة

و هكذا فيقدر ما يكون توفير الشغل و التشغيل و مقاومة البطالة غائبين أو مغيبين من أولويات أي برنامج اقتصادي/ اجتماعي قصير أو متوسط أو طويل المدى، بقدر ما تنتقي صفة "التنموي" من البرنامج المعني. إن البعد الاجتماعي و التشغيلي على وجه الخصوص هو الذي يضيء من دون سواه السمة أو بالأحرى الشرعية التنموية على السياسة

الاقتصادية و يسلبها في ذات الوقت من أية خطة اقتصادية "مولدة للبطالة".

هذا ولئن كان حصر "التنمية المولدة للبطالة" في تلك "المرتبكة بسوق بلا حدود" أو نعتها بالتنمية "غير المستقلة" أو المنادة بالاعتماد على الطلب الداخلي أساسا بدلا من التعويل على الطلب الخارجي "المجهول الحدود، المطموس الهوية، المتقلب المئالات" في دعم حركة النمو، أو الإشادة بجدوى نظام ما يعرف بـ "الأقطاب التنموية"، كما يفعله الكاتب، يحتاج هو الآخر إلى نقاش معمق على الصعيدين النظري والميداني، إلا أن ما يهمننا هنا في الأساس هو التأكيد على ذلك التلازم المفصلي بين التنمية والعمل وبالتالي تنفيذ الخطاب الواعد/ المنذر بحلول عهد "نهاية العمل"، كما يكتبه مصطفى الفيلاي ببلاغة فائقة حين يقول: "ليس في الأفق الحاضرة ولا فيما نشهده اليوم من تقلبات اقتصادية واجتماعية وفكرية ومن اهتزازات سياسية ما يدل على أن المجتمع البشري سائر حتما إلى النهايات البهيمية المفزعة ولا أن المسيرة الحضارية قد بلغت بنا نهاية التاريخ بل يسري في عقلانية الرشد ما يغذي اليقين بنجاة العمل من مآلات الانتكاس أو الانقراض و يبشر بانتعاش عوامل المنعة والوعي لمجتمع العاملين، و يبقى للجهد زاده من حوافز الخير وللعمل البشري إنسانيته الفاضلة و دوره في بناء الحضارة".

مدلول العمل تغير مع اقتصاد المعرفة

يبقى في سياق هذا التلازم بين التنمية والعمل مسألة مهمة أخرى تحتاج منا إلى إبداء بعض الملحوظات بشأنها. إن المسألة التي نعنيها هنا تتعلق بمدلول العمل والشغل والتشغيل في ضوء التغيرات الجذرية والمتركمة التي

نشهدها على صعيد مفهومي "النمو" و "التنمية" في ظل ما يسمى بـ "اقتصاد المعرفة" ولئن كان انتفاء الصبغة التنموية من أية سياسة اقتصادية مولدة للبطالة الكلية أو الجزئية، المعلنة أو المقنعة، أمرا لا جدال فيه كما أسلفنا، فإن اعتبار اقتصاد المعرفة "ما هو سوى اقتصاد العمل إذ أن كسب المعرفة أرقى أصناف الجهد المبذول من الإنسان" يبدو في الظاهر وكأنه إنكار للتحويلات العميقة في ماهية العمل والشغل والتشغيل ذاتها. إن تصور أي مجتمع عمل مثالي أو التأكيد على سمو "اجتماعية" العمل فوق أي اعتبار آخر دون الأخذ في الحسبان التغيرات الحديثة التي تطال الشغل والتشغيل-محتوى واستقرارا ومكافأة وعلاقات عمالية- من شأنها أن تضفي على أي تمرين استشراقي بهذا الخصوص مسحة طوباوية معزولة عن الواقع الحاضر أو المتطور، أكننا نتحدث عن الفضاء المغاربي أو عن أي فضاء جغرافي آخر.

إن النفس والوجدان والروى التي تخترق كتاب مصطفى الفيلاي عرض كل فقراته أو يكاد تنهل في الواقع من معين ثوابت فكرية وثقافية وأيديولوجية وروحية لم يتنكر لها المؤلف أبدا. بل إنه بقي طيلة مشواره السياسي والنقابي الحافل وفيها لها على الدوام، من أهمها إيمانه بريادة دور الدولة في تدبير شؤون المدينة، فاضلة كانت أم غير فاضلة.

الدولة وحدها مؤهلة لتنمية العمل والتنمية

يقول "الدولة وحدها هي التي تتولى اختيار الأهداف الكبرى لصيرورة المجتمع الوطني... بناء المعقولة الاقتصادية من مواد التكامل والتناسق بين عناصر الإنتاج، وبمنطق التناسب والموازاة بين الأهداف والوسائل عمل إرادي، يستمد شرعيته وجوبه من القرار السياسي. الدولة وحدها

مؤهلة لإنجازه قادرة على تشخيص مقاصده و على ضبط مراحل تحققه مسؤولة دون غيرها على استصدار القوانين و تسخير الوسائل البشرية الفكرية الإبداعية و المادية و المالية لانتشال النشاط الاقتصادي من مهاوي التخلف و التبعية و الإحباط".

إن مثل هذا التقييم لمكانة دور الدولة و ولوظيفتها في تدبير شؤون التنمية- تخطيطا و برمجة و تنفيذ- مشفوعا بما يكتبه ذات المؤلف بخصوص مكانة السوق التي لا تعدو أن تكون "الحلقة الختامية للنشاط الاقتصادي" مقارنة بالإنتاج الذي يمثل " محرك التنمية " أو بالتجارة التي هي بمثابة "عجلة التنمية " أو بخصوص مجتمع السوق ككل "مجتمع التوسع في الاستهلاك فوق خط الإشباع للضروريات المعيشية " أو بخصوص النهج الليبرالي الذي أفضى "إلى طمس معالم الانتساب بن المؤسسة و بين محيطها الداخلي، ولم يعد من دلالة لوطنية مؤسسة، تتمثل في التزامها بمقام التنمية الداخلية و تسخر طاقاتها و تقبل التضحيات الواجبة لتحقيق هذه المقاصد" أو بخصوص مؤشرات العولمة التي "لا تملك احتمال قابلية الانطباق على اقتصادات أوطاننا بل أصبحت اليوم في نظر الكثيرين من المفكرين العرب، فزاعة تلقي بظلالها على آفاق التنمية بأوطاننا، و تكثر من زرع العراقيل في سبل إنجازها" إن مثل هذا التقييم ليؤكد على وفاء مصطفى الفيلالي العنيد لتعاليم الاشتراكية القائمة على ما يسمى بـ"المركزية الديمقراطية" لا على الإملاءات " العلمية " ذات المنشأ الماركسي.

هذا و لئن كان مبدأ شرعية احتكار الدولة دون سواها للمعقولة و للحكمة التنموية لا يزال يمثل قضية جدلية مستعصية من الوجهتين النظرية و التطبيقية ، فضلا على أنه يحمل في طياته خطابا ذا نبرات ماضوية ، بخاصة في أزمنة

العولمة التي نعيشها اليوم، فإن التذكير في هذه الأزمنة بالذات، التي تتسم بفوضى الأسواق و قهر المستضعفين في الأرض، بمهمة الدولة و بدورها الذين لا ينافسها فيهما أحدن في ترشيد و تهذيب و تأطير المسار التنموي بكل أبعاده الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية و السياسية و الأخلاقية، تذكير موفق و صحي و ضروري.

نضال الحركات العمالية المغاربية أمام استبداد الأنظمة

لقد خصص مصطفى الفيلالي عددا مهما من فقرات كتابه لمسألة الحركات العمالية المغاربية على وجه التحديد من منظور مسيرتها النضالية و تطور مقاصدها و تراوحها بين الحوار مع السلطة و الرأس مال الخاص و القطيعة مع أحدهما أو مع كليهما.

فمن جانب المسيرة النضالية التاريخية للحركات العمالية ء يؤكد مصطفى الفيلالي على الثوابت اللغوية و الدينية و التراثية المشتركة و المؤسسة للذاتية المغاربية العمالية (و غير العمالية). و لقد كانت لتلكم الثوابت مكانة رئيسية بل حاسمة في مسيرة نضال بلدان المغرب العربي الثلاثة- تونس و المغرب الأقصى و الجزائر- من أجل الاستقلال و كذلك من أجل التصدي لمحاولات طمس الذاتية القومية العربية الإسلامية عن طريق "السعي التدويلي للكفاح العمالي المغاربي بقصد تذويب النواة الصلبة العصية للذاتية العمالية(المغاربية).

لكن و إن كنا نشاطر الكاتب الرأي عندما يؤكد أن الذاتية "لا تزال إلى اليوم ، العنصر المركزي لبنية المجتمع المدني بأوطاننا المغاربية و المعين الحي للحركات الشعبية الاحتجاجية الساهرة على تصويب انحراف الأنظمة الحاكمة " إلا أن القول بأن روابط اللغة و الدين و التراث في مجتمعاتنا

المغربية " تتقدم على روابط الكسب و المعاملات و على أوضاع المنزلّة المجتمعية " ليس بالأمر البديهي في نظرنا، فلا سجل العمل النقابي الوطني في عهد الاستقلال، و خاصة في ظل الانفتاح على اقتصاد السوق في المغرب الأقصى و تونس و الجزائر في فترة لاحقة، و لا سجل العمل النقابي المشترك منذ تأسيسه و تنظيمه في ربوع بلاد المغرب العربي المستقلة يحمّلان ما يؤكد تراجع روابط الكسب حيال روابط اللغة و الدين و التراث.

فعلى الصعيد الوطني، و كما تبينه التجربة التونسية، اتسم النضال النقابي في الأساس بنزعة مطلبيّة مادية من أجل تحسين الأوضاع المعيشية لفئات العمال الكادحة حتى وإن كان ذلكم النضال لا يخلو من مآرب سياسية معلنة و أخرى باطنة. إلا أن النزعة المطلبيّة التي تحدث عنها هنا تبقى في نظرنا طبيعيّة، و إن كانت مفرطة أحيانا، في ضوء التحول الجذري الذي طرأ على تركيبة ما يسمى بـ"العلاقات الاجتماعية للإنتاج".

الحوار الاجتماعي وقر مبدأ علو المصلحة الوطنية

و يقول الكاتب في هذا السياق: "إن أفدح الانحرافات الشائعة اليوم لمفهوم التوزيع الطبقي هي التي تقيم هذا المفهوم على خط التدابر و القطيعة مع مفهوم التضامن الأكبر للمجموعة الوطنية فيما يربط بين أصنافها المكية و المهنية و الثقافية من لحمة القيم الحضارية الثابتة التي لا تنقلب و لا تتحول كما تنقلب و تتحول ملامح التصنيفات المهنية و الماليّة و الفكرية".

إن علو "التضامن الأكبر لمجموعة الوطنية" على أية مصلحة أخرى، طبقة أو فئوية أو غيرهما، و اعتبار "الحوار وحده- لا القوانين و التشريعات- كفيلا بان ينشئ بيئّة المصالحة

الاجتماعية و أن يعيد تأسيس العلاقات المهنية على منطلق العدل في تقاسم المسؤولية و في التعاون على حملها" ليس هو المنطق الوحيد الذي يؤسس موقف مصطفى الفيلالي من مسألة التوزيع الطبقي، بل هناك كذلك المهمة التي ينيطها الكاتب بالطبقة العمالية في بناء المستقبل حيث يقول "بأيدي الطبقة العمالية في هذه الفترة بالذات من تاريخ أوطاننا المغربية قوة حقيقية تؤهلها للتأثير العميق على توجه شعوبنا في بناء المستقبل و في نحت ملامح المجتمع الذي نرتضي أن نسير إليه و العمل هو المحرك الأول لهذه القوة و هو عدتها و عدة المجتمع الوطني بأسره" بل يذهب المؤلف إلى اعتبار الحركة العمالية بمثابة " جهد تمديني مؤسس على الإيمان بقدرة العمل أن يسوس المجتمع البشري و هي سعي منظم لإرساء حكم العقلانية و الأخلاق في العلاقات البشرية".

كما جاءت معاينة الواقع العمالي المغربي- و التونسي على وجه الخصوص- و استقراء تطوراتّه و إفرزاته المتنوعة على صعيد التشغيل حسب الأجناس و الفئات العمرية و المستويات التعليمية و العلمية و القطاعات الإنتاجية، و كذلك البطالة بأنواعها و مسألة الإضراب عن العمل و الهجرة، في عهد الاستعمار الفرنسي و بعده، إنما جاءت ليضيفا بعدا ميدانيا و تاريخيا مهما على الجهد البحثي الذي قام به الكاتب.

جراء حركة التحرر الاقتصادي و خصخصة الرأس المال الإنتاجي و بالتالي إقحام الفعاليات الاقتصادية بما فيها القطاع العام في سباق و تنافس يعرف في علم الاقتصاد بـ"اللعبنة ذات المجموع الصفري" حيث ما يحصده البعض من أرباح هو بالضبط ما يتكبده البعض الآخر من خسائر.

أما على صعيد العمل النقابي المغربي المشترك، فإنه رغم روابط اللغة و الدين و التراث التي يذكرها الكاتب لا يزال منذ

تأسيسه خاويًا من أي نشاط أو مشروع جماعي أو حركة مطلبية متضامنة تذكر - أكان ذلك على صعيد التشغيل أو على صعيد الأجور أو على صعيد مقاومة البطالة أو على صعيد مساندة حركات الإضراب التي تحدث هنا أو هناك أو على صعيد مؤازرة الحركات العمالية الوطنية بعضها لبعض عند نشوب الأزمات الاجتماعية الكبرى- عدا في حالات نادرة- التي لم تنفك تتراكم على الساحة المغربية منذ الاستقلال.

الحركات العمالية المغربية من التضامن الوطني إلى

التمييز الطبقي

ولعل السبب في ذلك هو التحول النوعي الذي شهدته الحركات العمالية في المغرب العربي على مستوى الأهداف والمقاصد المرسومة لنشاطها النضالي كما يؤكد مصطفى الفيلالي ذاته حين يميز في مسيرة تاريخ العلاقات المهنية بأوطان المغرب العربي بين مرحلتين: "مرحلة التضامن الوطني و مرحلة التمايز الطبقي".

إلا أن مصطفى الفيلالي وإن كان لا يتردد في التأكيد بطبقة "المستأجرين" الذين يؤثرون "منطق الربح" ويستسلمون لـ"نزعة الجشع" منتهكين بذلك ما تمليه عليهم "المصلحة (العامة)" أو في التشهير بـ"طغيان عادة الارتشاء و التقاعس عن الواجب" لدى المصالح الإدارية، أي طبقة الحكام أو في فضح تلكم النزعة القوية لدى طبقة العمال " لتفضيل العلاقات المهنية على روابط المواطنة كسلوك من يعمل على قطع جذع الزيتون و هو جالس على احد أغصانها"، فإن إدانته لما يشار إليه تقليديا بـ"حرب الطبقات" في مفهومه الماركسي أو النيو-ماركسي إدانة صريحة ، لا بأس فيها.

معضلة البطالة و التنمية المغربية المشتركة

كما ضمن مصطفى الفيلالي كتابه العديد من الجداول الإحصائية المهمة التي مكنت الباحث من رسم صورة معبرة بخصوص المشهد الاجتماعي المغربي الراهن و المنظور- لا سيما في تونس- فمن معضلة البطالة التي "تحقيق بفئات الشباب من الشرائح العمرية" و التي "أصبحت تنال صنف المتحصلين على الشهادات العليا" إلى ضعف تشغيل الإناث إلى تكديس فرص العمل في النشاطات الخدمية الهامشية على حساب القطاعات المنتجة ذات القيمة المضافة الرفيعة - ما يفسر إلى حد غير قليل ضعف إنتاجية العمل في الوطن العربي مقارنة بما يحدث في البلاد المتقدمة و حتى البلاد الصاعدة الأخرى- إلى مآسي الهجرة المغربية إلى الديار الأوروبية- بما فيها هجرة العقول- و ما تتطوي عليه من تشوهات على مستوى السلوك الاستهلاكي و تعنيه من استرقاق ليد العاملة المهاجرة، و أخيرا و ليس آخرا، إلى التحديات الجسيمة التي تواجه دول المغرب العربي و المتمثلة في الحاجة إلى خلق ما يربو عن 13 مليون موطن شغل جديد في الفترة ما بين 1980 و 2010، يبرز لنا المشهد الاجتماعي المغربي الراهن و المنظور بكل سلبياته و رهاناته معا.

هذا و لئن كان مصطفى الفيلالي محقا و صائبا عندما يؤكد أنه لا حل لتلك المعضلات الاجتماعية العظمية سوى النهج الجهوي أي المغربي الإقليمي، فإن المطلع على هذا البحث القيم لا يملك إلا أن يتساءل حول الفقرة المفقودة في الدراسة المعروضة ذلك أن إرجاع الاعتبار لمجتمع العمل و لاجتماعية العمل، على وجاهته و ضرورته لن يكفي لحل مشكلة الشغل و التشغيل في ربوع بلادنا في غياب إستراتيجية تنموية مخططة على الصعيدين الوطني و المغربي الجماعي.

إلا أننا نعتقد في نفس الوقت أن تصور مثل هذه الإستراتيجية يحتاج إلى بحث مستقل، بحث مغاربي جماعي متنوع الاختصاصات نأمل أن يكون الجهد بذله مصطفى الفيلاي في صياغة هذا الكتاب المهم حافظاً له و مدعاة للشروع فيه دون تأخير و السلام عليكم.

الأستاذ عبد اللطيف الفوراتي

شكراً لأستاذ الشاذلي العياري و الكلمة الآن للأستاذ مصطفى الفيلاي.

الأستاذ مصطفى الفيلاي.

شكراً للدكتور العياري لما تجشم من صبر و أناة للإحاطة بما في هذه الجوهرة العلمية ، سألت في عديد المناسبات عن الكم من الوقت الذي قضيته لإنتاج هذا التأليف فأجبت بما يجيب به غيري من الكتاب 6 أشهر و عشرين عاماً: 6 أشهر للكتابة ن و عشرين عام لتمحيص المضامين و المواد العلمية أو البحثية التي جمعت في هذا المصنف.

قبل كل شيء أودّ أن أبدي رأيي في شأن هذه المبادرة الصادرة عن حركة الديمقراطيين الاشتراكيين، فهي سنة حميدة أن يهتم بالإنتاج الثقافي حزب سياسي، وإنها لبادرة غير مألوفة أن يعقد، للاحتفال بالكتاب ولتكريم صاحبه، مثل هذا اللقاء الكريم. تدعى إليه مثل هذه النخبة الفاضلة من الحاضرين.

مبادرة الحركة سنة جميلة في تكريم الثقافة

لذلك يتوجب عليّ الشكر الجزيل لحركة الديمقراطيين الاشتراكيين وللمسؤولين فيها. وفي مقدمتهم السيد الأمين العام صديقي - ولا أقول تلميذي - إسماعيل بولحية. فلعل

هذه المبادرة غير المعتادة تصبح من السنن الراسخة في تعامل الأحزاب السياسية مع الإنتاج الفكري، داخل الوطن وخارجه.

و إنها إشارة واضحة من هذه الحركة إلى أن السياسة - بمفهومها الراقي - لا تنفصل عن المعرفة، ولا تستغني عن حصادها. ألم يكتب عبد الرحمن بن خلدون في المقدمة (ص339)

" والسياسي هو حمل الكافة على مقتضى النظر العقلي في جلب المصالح الدنيوية ودفع المضار".

ألم تصبح ممارسة الشأن العام - في عصرنا هذا - أكثر من العصور السالفة تتأصل في الواقع الاجتماعي، بمختلف مكوناته، السياسية والاقتصادية، باعتماد الحصاد المتنامي من المكاسب المعرفية، وبالتمحيص الفكري لمختلف قضايا المجتمع.

وهل بغير أدوات هذا التمحيص نعالج اليوم قضايا التنمية، فيما أصبح ينعى باقتصاد المعرفة، بعد أن تغلبت المدخلات اللامادية في إنتاج الخيرات وإسداء الخدمات، وتقدمت على الخامات والمكونات المادية، المدخلات الاعتبارية.

ألم يصبح العمل - هو الآخر - ملزماً أن تعتمد ممارسته على المهارات الفنية وأن يتزود العامل بالمكاسب المعرفية، أكثر من تعويله على الجهد البهيمي. كما يسميه الإمام "الماوردي"، في كتاب أدب الدنيا والدين.

من أجل ذلك ، غدت قضايا العمل غرضاً للبحث العلمي، وتكونت في التدريس الجامعي مناهج دراسية يفرد لها قسم خاص بين علوم الاجتماع، يعرف باسم اجتماعية العمل.

قلة البحوث في العمل مغاربيا

و من الملفات للنظر عند من يهتم بالإنتاج البحثي لقضايا العمل، بجامعةاتنا المغاربية، قلة ما يتوفر من الدراسات الشاملة لاجتماعية العمل، بماله في أوطاننا من مواصفات خصوصية، ومن مشاكل مستعصية، مثل البطالة والهجرة والملاءمة بين العرض والطلب في التخريج المدرسي والتكوين الفني. وبقينا نعول على المدرسة الغربية في مضامينها وتوجهاتها، والحال أن معظمها يرمي إلى تقليص دور العمل في الإنتاج، بينما قد جعلنا- في مقدمة أهداف التنمية، تعظيم دور العمل وإنشاء أكثر عدد ممكن من فرص الشغل لمقاومة البطالة والحد من نزيف الهجرة.

و لا أخفيكم أنني وجدت العديد من المصاعب لانجاز هذا البحث الذي أردت أن أركزه بدرجة أولى على المنطقة المغاربية و المنطقة العربية وجدت الكثير من التعب للفوز بالقدر الكافي العلمي و المجدي من البيانات و الإحصاءات فالكثير من الميادين تفتقر إلى تصنيف الإحصاءات و جمع البيانات و بعضها لا يجمع لأسباب سياسية و للخوف من أن يقال في البلاد "الفلانية" تزيد نسبة البطالة عن كذا بالمائة من القوى العاملة .

كان ذلك النقص البحثي للإحاطة بقضايا العمل في بيئتها المغاربية أحد العوامل الحافزة على إنجاز هذه الدراسة. فهذا الكتاب يمثل عندي ، رسالة رجاء إلى الجامعيين المغاربة ، أن يقبلوا على إنجاز الدراسات القطاعية والشاملة ، تمهيدا لإنجاز اجتماعية مغاربية للعمل، وتيسيرا لإدخال أوفر نصيب من المعقولة على سياسات التنمية ، وإسهاما من الجامعة في ترشيد علاقات التعاون مع جيراننا بالصفاف الشمالية من

المتوسط. ثم إن تأليف هذا الكتاب هو عندي خطوة من خطى السير في هذه السبيل، حتى تقترن الدعوة بالإنجاز ويتعزز الرجاء بالجهد الشخصي لمعالجة المصاعب الفكرية.

العمل قيمة إسلامية سامية

و قد تأكد عندي- عند التقدم في هذه السبيل الوعرة- أن مشروع التنظير العلمي لاجتماعية عمل مغاربية المنهج، لا ينطلق من خواء، ولا يغامر في مجهول، بدون مستندات سابقة. وأدركت ، بالقرائن المرجعية المتعددة، أن لقضايا العمل في مصادر الفكر العربي الإسلامي، درجة عالية من التقدير، وقدر متواتر من العناية، تبرز شواهدا الكثيرة في النصوص المقدسة، من قرآن كريم، وأحاديث نبوية صحيحة، وفي سيرة الخفاء الراشدين، ويتوفر حصادها في معظم مصنفات المفكرين المسلمين العرب. و تجدون في خاتمة هذا الكتاب المراجع العربية الإسلامية التي اعتمدها و لم أغامر بتأويلها و إنما أخذتها بحذافيرها.

قضية أساسية من قضايا العمل هي وجوب العمل و أن الدولة يجب أن تنهض بالعمل، هذا ما لم يقع تقديمه في المدارس الفقهية الغربية إلا في بداية القرن العشرين خاصة عندما تكونت منظمة العمل العالمية في جنيف سنة 1919.

عمر ابن الخطاب خرج يودع أميراً له سيذهب إلى "خرسان" فقال له: " يا هذا إذا جاءك سائل محتاج ماذا تفعل معه ؟ " قال " أقطع يده يا أمير المؤمنين" قال " فإن عمر ابن الخطاب يقطع يدك" و النص الصحيح لهذا الحديث تجدونه في الجزء الثاني من الكتاب. أضاف عمر ابن الخطاب قوله في ما معناه " إنما بعثنا لنوفر للناس أرزاقهم و أعمالهم فنكفهم بذلك عن عقوق الشرّ و ارتكاب المعاصي ن فأمر المؤمنين

كرئيس الدولة يقول لعامله إذا جاءك سارق فلا تقطع يده قبل أن توفر له العمل.

علي ابن أبي طالب أوصى أميره في مصر أن لا يعتني بجمع الجباية قبل التأكد من حصول أصل الجباية و توفر الإنتاج.

منزلة العمل في اقتصاد السوق وفي الفكر الإسلامي

هذا الزاد الثري من الشواهد الفكرية في الفقه العربي الإسلامي، و يساوي تقريباً نصف الكتاب هو المبرر عندي لازدواجية هذا التأليف، يجمع كتابين اثنين، بينهما تلازم منطقي وتكامل عضوي: يعالج الكتاب الأول قضايا العمل، في حقل النظريات الاقتصادية، كما تبرز في مجتمع السوق المتولد عنه، وقد بين صديقي الأستاذ الشاذلي العياري ما احتواه الجزء الأول من هذا الكتاب المتعلق بمجتمع السوق. أما القسم الثاني الذي عنوانه العمل في فقه الدين الإسلامي و يساوي تقريباً نصف الكتاب فقد عرضت حصاه على صديقاً الحبيب بالخوجة و مختار الإسلامي حتى أتجنب الغلط و المزالق في ميدان صعب ، ميدان تأويل الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية و الأفكار الواردة في التراث الديني الإسلامي، ويعرض الكتاب الثاني لمنزلة العمل في الفكر الإسلامي، تأكيداً لدوره الاقتصادي في توفير المكاسب وتحقيق التنمية لإشباع الحاجيات وإثباتاً لقيمته بين الحقوق الواجبة للإنسان، وترسيخاً لدلالته الأنفسية كشرط لاكتمال الذاتية وتيسير أسباب تضامن الفرد مع المجموعة.

هذا السبق المعرفي في الفكر الإسلامي، من شأنه أن يجدد للعمل منزلته كقيمة حضارية باقية ، ويصحح محاولات الطمس والتهميش التي تملأ الأدبيات المدرسية في المصنفات الغربية عن العمل. وهو يمثل زادا في تراثنا يدعو إلى

الاعتزاز، ويولد مشاعر الرضى عن الانتماء الثقافي، وهو في الآن نفسه مسؤولة ثقافية، توجب الوفاء والعرفان لأجيال السابقين. وهل أصدق وفاء وأزكى عرفاناً من استئناف الجهد، ومواصلة الرسالة المعرفية التي حملوا أمانتها وزرعوا بذورها الطيبة. وأني أمل أن يجد قراء هذا الكتاب عند تصفح فصوله ، بعض الذي وجدته عند تصنيفها من تلك المشاعر المنعشة، و السلام عليكم و رحمة الله وبركاته.

الأستاذ الحبيب الجحاني

العمل دعامة صلبة للنهضة العربية

لقد جمعت الدراسة بين جانبيين الجانب التنظيري الفكري و جانب الممارسة و من هنا جاءت الجداول الكثيرة موضحة و متممة للجانب الثاني . الملاحظة الثانية ثراء المراجع و المصادر و تنوعها، فيتجول الكاتب في الاستفاضة من هذه المصادر في تفسير "الزمخشري" و أحكام القرآن لابن العربي و كتاب الأموال لابن سلام و تهافت التهافت لابن رشد و مقدمة ابن خلدون و رسائل إخوان الصفا و "الماوردي" في "أدب الدنيا و الدين" و كذلك محمد إقبال في "تجديد الفكر الديني في الإسلام" و محمد الطاهر بن عاشور في كتابه "مقاصد الشريعة الإسلامية".

و تمتزج هذه الإحالات بالنهل في الوقت ذاته من مؤلفات "ادم سميث" و "لوك" و "ماركس" و "فيبر" "سمير أمين" و "شفسكي" و غيرهم من المؤلفين المعاصرين، و بالتالي يمكن أن نقول دون مبالغة أن هذه الدراسة تتجاوز الفضاء العربي و المغربي لتؤم الفضاء العالمي حول إشكالية العمل و قضايا التشغيل.

و الملاحظة الثالثة، أن المرء و هو يقرأ هذا الكتاب يتساءل ما هو الهدف الأساسي للكاتب؟ ليلمس في يسر بعد ذلك أن الهدف الأساسي مرتبط وثيق الارتباط بالالتزام الفكري للأستاذ مصطفى الفيلاي طيلة مسيرته الثرية . هذا الارتباط نلخصه في إيمان الكاتب بأن العمل هو الدعامة الصلبة لمشروع النهضة العربية الذي حلمت به أجيال متعاقبة و ناضلت من أجله .

العمل رؤية كونية و ليست إسلامية فقط

ثم الكتاب يطرح أيضا إشكاليات كبرى خاصة في المستوى التنظيري، و من ابرز هذه الإشكاليات ما أشار إليه المؤلف قبل قليل و هي الرؤية الإسلامية لقضية العمل و قد حرص على تتبع هذه القضية إلى درجة أننا نجده يقول - تلخيصا لهذه الرؤية- أن العمل بماله من دلالات متميزة في الفكر الإسلامي هو وسيلتنا الفذة للنجاة مجتمعات و أفراد من الفقر و التخلف . و هنا أختلف مع الكاتب اختلافا جذريا لأقول أنه يمكن أن نفيد من الجوانب المضيئة في العالم العربي الإسلامي لغرس فكرة العمل في المجتمع العربي الإسلامي و الارتقاء بها إلى درجة العبادة كما جاء في الكتاب للخروج من التخلف، فرق شاسع بين هذه الرؤية و بين الرؤية الإسلامية للعمل كحل للمشكلة اليوم . فالرؤية للعمل و لقضاياها و صراع العمال مع أممية رأس المال و بالخصوص رأس المال الطفيلي و هي الظاهرة المنتشرة في الفضاء العربي أصبحت رؤية كونية تتجاوز الحدود و تتجاوز الهويات و تتجاوز كذلك الأديان و يجب أن نؤسس لهذه الرؤية في التربة العربية شأنها في ذلك شأن المفاهيم الأخرى ذات

الطابع الكوني مثل الحريات العامة و الديمقراطية و حقوق الإنسان .

استعمل الأستاذ الفيلاي في كتابه مفهوم الفريضة الغائبة ن و سائير هنا إلى فريضة غائبة لم أعثر عليها في الدراسة و هي ربط قضايا التشغيل و البطالة في العالم العربي بأوضاع السلطة السياسية القائمة . فقد تحدث فعلا عن دور الدولة لكن أين هي الدولة الوطنية المستقلة التي تستطيع أن تضع خططا تنموية سليمة و جديرة تقوم أساسا على قيم العمل و الإنتاج؟ ثم ماذا تستطيع السلطة العربية اليوم و قد تحول الكثير من الماسكين بزمامها إلى حراس في بلاط أممية رأس المال؟ و لا مناص من إثارة قضية أخرى تتعلق بالعمل و هي ما هو مستقبل اجتماعية العمل في عصر سيطرت عليه أممية السوق؟ و مع الشكر .

الأستاذ أحمد المغربي

المجتمع التونسي مجتمع عمل

اعتقدت أن الأخ مصطفى سيتحدث عن المجتمع التونسي الذي هو من أهم أوصافه أنه مجتمع عمل و باستعراض تاريخ الشعوب التي عاشت فيها يخطئ من يظن أنها كانت مسكونة بشعب خامل و كسول و غير متفاعل مع الحياة بل بالعكس أنجح القيادات التي قادت هذا الشعب هي التي تحكمت في حركيته المفرطة و نظمتها . فمثلا هناك عبقرية بربرية و لا أقول هذا تعصبا و لكن واقعا . و كما قلت ظننت أن الأخ مصطفى الفيلاي سيتحدث عن المجتمع التونسي و صبغته العملية ثم اهديت عن طريق القراءة إلى أن الموضوع يتعلق بالعمل كقيمة و قدرت في الأخ مصطفى مرجعيته الفكرية

الأستاذ عبد اللطيف البعيلي

العمل كرامة في عولمة لا تبحث إلا على الربح

أريد أن أشكر الإخوة المتدخلين، أريد أن أقول أن هنالك فرق بين الرغبة في الشيء والقدرة عليه وربط العمل بالبطالة والسياسة التربوية والمنظومات التربوية المتعاقبة على البلاد منذ الاستقلال فلها دور كبير بالواقع اليوم. فالمنظومات التربوية على المستوى العالمي تتكون من منظومتان: منظومة للبلدان الشرقية ومنظومة أمريكية. المنظومة الأولى تدرس أبناءها وتوجههم ثم تنتدبهم هي. المنظومة الثانية كانت تترك لهم الخيار في التوجيه وفي البحث عن عمل. وأنا أردت أن أعرف في أي المنظومات نصنف ولكني لم أجد أننا نوجد لا في المنظومة الأولى ولا الثانية. الخطأ منذ البداية منهجي وكبير جدا وأنا أتأسف أنه في نقاش مثل هذا حول الكتاب-الذي في الحقيقة لم أقرأه- لا نتطرق إلى هذه المسألة. هذه نقطة أولى، النقطة الثانية هنالك غياب شيء هام، فالعمل كرامة وأنا أقول لما نربط العمل بالكرامة فإذا كان الشخص عاطلا فهل معنى ذلك أنه بلا كرامة؟ وهذا أمر خطير. فأنا أرى أن النظريات الاقتصادية ومجتمع السوق والعولمة فعلت كل شيء ما عدا النظر في كرامة الإنسان فهي تبحث فقط في منطوق الربح والخسارة.

وحسب ما سمعته أشير إلى أنه هنالك نقطة أخرى غائبة وهي التحيين في عملية التحديث وعن القيمة النوعية للإنتاج ونعني بذلك الجودة واليوم هناك علم جديد اكتسح العالم وهو قضية جودة الإنتاج واكتساح السوق بهذه الجودة فالعالم في حد ذاته منتوج لا بد أن تتوفر فيه شروط الجودة دون أن أدخل

التراثية الإسلامية العربية. فما من آية للقرآن يأتي ذكرها للمؤمنين إلا واقترن بالعمل، "الذين آمنوا وعملوا الصالحات" وفي عديد الآيات. ففي الإسلام الإيمان لا يفي لأن الإيمان علاقة بين الإنسان وخالقه وهي علاقة الخالق في غنى عنها أما العمل الصالح فهو يتجه إلى البشر والله إنما استخلف الإنسان على الأرض إنما ليخدم هذا المجتمع الذي يعيش فيه.

من ناحية ثانية المجتمع التونسي المتجذرة فيه روح العمل نشأ فيه حزب أراد أن يقوده إلى استرجاع سيادته على أي شيء رگز الحزب؟ على العمل وهناك ظاهرتان في هذا تدلان على ذلك: أن الحزب اختار لسانه عنوانه "العمل" جريدة بالفرنسية « L'action » وبالعربية "العمل" وأكثر من هذا بطاقة الانتماء إلى هذا الحزب "وقل اعلموا فسيروا الله عملكم ورسوله والمؤمنون" فالتونسي المنتمى إلى هذا الحزب هو ملزم بأن ما يعمله وراءه الله والرسول والمؤمنون. ولا أريد أن يؤول كلامي إلى أنني أدعو إلى الحزب فقد تجاوزنا هذه المرحلة سنا وفكرا وتاريخا ولكن أعتقد أنني صادق فيما أقول فليس من باب الصدفة أن الحزب القديم اختار "الإرادة" اسما لجريدته ن الإرادة شيء طيب لكن هل تقضي إلى نتيجة؟ فهي تتوقف على العمل فجاء من حول الإرادة إلى عمل. وأقول للأخ مصطفى الفيلاي أن هذا الكتاب أخشى أن يتعثر في قراءته كثير من المثقفين لأنني عندما قرأته أحسست وكأنني أقرأ نصا هجرية عربيا في القرن الثالث أو الرابع لأبي حيان التوحيد أو "البيان والتبيين" للجاحظ وأمنت أن الكتاب لم يكتب بالفرنسية ثم ترجم فقد كتب بروح عربية فهو في آخر المطاف كتاب كتب بلسان عربي مبين و شكرا

في تفاصيل مقاييس الجودة كـ9001 مثلا التي لها ارتباط
أساسي بالعمل والعامل والسلام.

الأستاذ البشير بن سلامة

لا قيمة لمفهوم العمل في دول ما زالت متخلفة

أولا أتقدم بالشكر للأستاذ إسماعيل بولحية على هذه الدعوة
و ثانيا أشكر أستاذي مصطفى الفيلاي الذي شرفنا بهذا
الكتاب. وفي الحقيقة عندما شرعت في قراءة هذا الكتاب
تملكني شيء من الرهبة لأن هذه الموسوعة وكذلك الأستاذ
الشاذلي العياري لأنها بالفعل موسوعة وفيها مفاهيم عديدة
ودقة في التعبير بلاغة وأسلوب شيق وأعتقد أنه لو كان فيها
كشاف للمصطلحات في آخر الكتاب يعين على تتبع كثير من
المفاهيم في أبواب كثيرة، وبما أن الوقت قصير فإني
سأقتصر على نقطتين، أولا مفهوم الدولة الذي ذكره الأستاذ
مصطفى الفيلاي وقال أنها مصدر قرار إلى آخره...، فأني
دولة ذكرها؟ فنحن نعرف في بلداننا العربية على الأقل أن
الدولة لم تكتمل بعد في مؤسساتها فقراراتها في كثير من
الأحيان لا تلبى حاجة أقطارها و بلدانها فبجيت إذا ما نحن
ركزنا على الدولة باعتبارها كل شيء وبما أن هذه الدول في
نظري مرتبطة بالدول التي كانت قبل الاستقلال فهي الدول
التي أوصلت البلدان الإسلامية إلى ما هي عليه من ضعف
فهناك فرق بين النظريات وبين ما أراده الإسلام للمجتمع
الإنساني وبين ما آلت إليه الدول الإسلامية طيلة قرون حتى
أوصلتنا إلى اعتبار العمل شيئا لا قيمة له، ولست أعلم إن
كان الأستاذ الفيلاي يشاطرنى الرأي، فبينما كانت البلدان
العربية تعمل وتكد وتنتج كانت البلدان العربية والإسلامية
في متاهات أخرى، وأنا من المتمسكين بالهوية العربية

الإسلامية وقد درست هذا وعرفت أن الإسلام الحقيقي في
واقع الأمر لم يطبقه المسلمون فيما بعد منذ انطلاقة الدولة
الإسلامية. بحيث أنم المشكل يجب أن ينظر إليه بطريقة
أخرى: فكيف إذن وصلنا إلى التدهور الذي وصلنا إليه
وأصبحنا من الدول المستضعفة. ثم أن مفهوم العمل نفسه لا
يرتكز في المنظومة التعليمية حتى يصبح الفرد في المجتمع
العربي الإسلامي ومواطننا صالحا إذا كانت المنظومة
التربوية على قيم وربما يذكر الأستاذ الشاذلي العياري سنة
1970 وهو وزير التعليم أنني تحدثت عن التربية في ذلك
الوقت و قلت أن الأزمة ليست أزمة تنمية فقط بل هي أزمة
قيم. فإذا كانت المنظومة التعليمية مشتتة من ناحية اللغة
والتعبير والتكوين فهل أن يكون هناك مواطن صالح وأن
يكون هناك فهم صحيح للجهد والعمل؟ و شكرا

الأستاذ نوفل الزياي

ربط مفهوم العمل بالمواطنة والديمقراطية

أشكر الديمقراطيين الاشتراكيين والأمين العام إسماعيل
بولحية في تنظيمه لهذه الندوة وفي استدعائه لأستاذنا الفيلاي
. ومن دون إطالة أقول أنني أعتقد أن قيمة العمل ذكرني
بمقولة أن نبحث عن مصدر القيمة من زاوية الفاعلية وغيرها
من المفاهيم النظرية لذلك أنا ملهوف فعلا لقراءة هذا الكتاب
لأن بدون بوصلة للنظرية لا يمكن أن نفهم الواقع ولا يمكن أن
نجد الحلول والسبل للخروج. وأنا في اعتقادي أنه لا بد أن
نربط بين العمل والمواطنة، فكل الإشكال مثلا أن من لا عمل
له وهو باحث عن عمل وهو دارس ومتحصل على شهادة
"السيزيام" سابقا والباكالوريا والإجازة في نظام دراسي
صعب وفي ظروف صعبة ومن له شغل هل يمكن أن نعتبره

مواطن أم لا؟ دون أن ننسى ظاهرة les nouvelles « formes d'emploi » و غياب ظروف العمل. فكل هذه القضايا: قضية المواطنة، قضية التنمية و الحرية و التقدم هي المنظومة المجتمعية و هذا يعني كذلك ربط مفهوم العمل بالمواطنة و كيف أن للدولة الدور المركزي كونها المشغل الأساسي و هي التي توجه الاستثمار و هي التي تتحكم في السياسة الصناعية و القطاعية و هي التي تعرف كيف توجه القطاع الخاص.

فالمطلوب في منظومة التربية و التكوين أن تستجيب لمصالح المشغلين. ففي منظومة الجامعة و التربية و التكوين يجب الفصل بين التربية و التكوين و مفهوم الجامعة فالجامعة ليست هي التي تخرج البطالين بل الجامعة تنتج أبناءنا أناسا أكفاء قادرين لذلك يجب التنسيق بين الجامعة و القطاع الخاص و قطاع الإنتاج فيجب تطوير الجامعة و أن تكون هناك صناعة مشتركة . و من دون إطالة ، فهذا موضوع شائك ن فكيف نطالب من لا عمل له أن يعبر عن رأيه و يطالب بالديمقراطية و بالبناء المغربي. فلا بد هنا من جهد تضامني و اقتصاد تضامني و دور الحركة النقابية و دور منظمة الأعراف و دور مكونات المجتمع المدني و دور الأحزاب لتتكون لنا تنمية اجتماعية و لكي ينمو العمل و يتعزز فيعمل الناس و يتعودوا على الديمقراطية و على الحرية و التقدم و شكرا.

الأستاذ الصادق بالعيد.

الكتاب أحدث ثورة معرفاتية في مفهوم العمل

أشكر مصطفى الفيلاي على تقديم هذه الدراسة الطيبة و التي كما قال مقدم الكتاب الأستاذ الشاذلي العياري "تدل على عمق التفكير" و هو ما يمتاز به منذ زمان الأستاذ مصطفى الفيلاي و كما ألاحظ إنما ازداد شعره بياضا و تفكيره عمقا . وفيما يخص هذا الكتاب الذي لم يكن لي الحظ لكي أقرأه فإن التخمينات التي سوف أقدمها إنما تعود بالأساس إلى ما سمعته من خلال التقديم الشيق للأستاذ العياري و بقية المداخلات للإخوة.

أود أن أركز على نقطتين: النقطة الأولى تخص الكتاب عندما يكتب، أي ما يرغب الكاتب من وراء تحمل مشاق عشرين سنة و ستة أشهر لوضع الكتاب و تشخيصه خاصة عندما نكون في سن الأستاذ مصطفى الفيلاي. المرغوب عند الكاتب هو إبلاغ رسالة و أنا أنظر إلى هذا الكتاب بالخصوص على أساس أنه أتى برسالة و هو الأساس في رأبي لهذا الجهد فإذا نظرنا إلى الكتاب من هذا المنظار أقول بأن هذا الكتاب له أهمية كبيرة على الأقل من ناحيتين أو نقطتين، النقطة الأولى هي أهمية هذا الكتاب من الناحية "المعرفاتية" الأهمية لمن يقرأ هذا الكتاب- و سأكون من بينهم إنشاء الله عن قريب- هو أن هذا الكتاب يدخل ثورة معرفاتية من ناحية مفهوم "العمل" و هنا ألفت نظر سيادتكم إلى نقطة هامة في نظري و كما قال الأستاذ حسين المغربي هو أن الإنسان كان يتصور أن كتاب الأستاذ الفيلاي سيتحدث عن العمل في تونس أو في العالم العربي إلى غير ذلك، لا الأستاذ الفيلاي دائما كان يأخذ التيار المعاكس و يظهر هذا بصفة واضحة في عنوان الكتاب، فعنوان الكتاب ليس تونس العمل أو العمل في الوطن العربي أو العمل في المجتمع بل هو تكلم عن مجتمع العمل و هذه نظرة ثورية من ناحية أن العمل كان ينظر إليه باعتباره قسم

من النشاط الاقتصادي ينتمي إليه و يركع لأوامره و متطلباته و ربما يأتي ذلك بالعمل إلى التهميش و إلى الوضعية المزرية التي عاشها الإنسان طيلة قرون عديدة و مازال يعيشها إلى حد يومنا هذا و بالطبع الأضعف يكون أكثر انحطاطا . فهنا الأستاذ الفيلاي حسب ما أظن يقول " يجب علينا أن لا نهمش هذا البعد أي العمل في المجتمع بلا أن نرد إليه الاعتبار كأساس لتصور مجتمعاتي. و فعلا هذا الكتاب يتجاوز المستوى التونسي أو المغربي أو العربي و يسمو إلى النظري البحث و أعتقد بأن بهذه النظرة يكون هذا الكتاب حقيقة مركزيا و أساسيا و أفضل بالنسبة للجامعيين و المختصين في تشريع العمل في الجامعة بصفة عامة و الجامعة التونسية بصفة خاصة.

على حكوماتنا مراجعة مفهومها للعمل

فالنقطة الأولى هي أن هذا الكتاب أتى بجديد و أهمية الكتب تتركز فيما تأتي به من جديد. و النقطة الثانية هي عندما يكتب الكاتب كتابا هو يأتي برسالة فكرية بحتة و لكن هذا الكتاب ينظر أيضا إلى الناحية العملية فمؤلف الكتاب يريد أن يبلغ رسالة و في الآن نفسه أن يؤثر في مجتمع هو يريد أن يقول يا أيها المجتمع في بلادنا و في غيرها حان الأوان إلى أن تعيد النظر في مفاهيمك و تشريعاتك بذلك الميدان أو بآخر و هنا الخاصة بالعمل. و أقول أنه في هذا الباب الأستاذ مصطفى الفيلاي رغم أنه تباعد عن السياسة فإنه في هذا الكتاب قد رجع إلى محور السياسة في بلادنا و أعني بذلك و كأنه يسائل الحكومات و ربما الأقرب من الحكومات المغربية و العربية بأن تراجع مفهومه لمفهوم العمل، فالعمل ليس صلة أجرة بل هو أكثر من ذلك و لهذا فإن المؤسسات السياسية و النقابية

و التشريعية يجب إعادتها تماما و قد أشار لنا الكاتب بالاتجاه الذي يجب أن نذهب فيه. هذا الاتجاه هو أن اليوم أصبح العمل ليس ما يسمى "العمل البهيمي" بل هو العمل الذهني و نحن في حاجة إلى إعادة التفكير في هذا، و الدليل على فقرنا و اقتنارنا إلى هذه المراجعة هو أن الجامعة التونسية مثل الجامعات المغربية و العربية تنجب البطالة فهذا هو المعيار الكبير لبعدها عن كل سياسة تنموية في هذه البلاد لأن العمل عليم يصبح الآن عميل بهيمي الذي يجرب بحاملي الأستاذية إلى العمل خلسة في بلاد الأجنبي حيث تنتهك حقوقهم و يهملوا شخصا و عائليا و إلى غير ذلك إذن نحن الآن في مأزق و الأستاذ الفيلاي على الأقل أشار علينا بـ"أن الاتجاه ليس الذي تذهبون إليه سياسيا و تشريعا و اجتماعيا و ثقافيا بل في الاتجاه المعاكس" و أظن أن الأستاذ الفيلاي أتى هنا إلى الحديث عن السياسة بجديد و بمسائلة و بتحديات و لا أتكلم هنا عن تحديات للماضي فكما قال السيد الحسين نحن تجاوزنا هذا لكن إلى حد ما تجاوزنا هذا لأن بضاعتنا ردت إلينا لكن التجاوز هنا لازم.

تجاوز المرجعيات القديمة لبناء مجتمع جديد

و اسمحو لي أن أقول كلمة في نقطة ثالثة، و أنا أخرج في الحديث عنها كلما جاءت الفرصة لذلك، و لكن أظن أن مضمون الكتاب و ما جاء في بعض التدخلات يجبرني أن أقول هذا. أفهم أن الكاتب أدخل بعدا ثقافيا بل إسلاميا عميقا في فهمه و تأويله لهذا القطاع الهام من النشاط البشري و أفهم أن هذه المرجعية لازمة لكن يسمح لي الأستاذ مصطفى الفيلاي و الزملاء الذين سبقوني في الكلام أنه لا يجب التركيز على المرجعيات القديمة إذا أردت أن تبني مجتمعا

الأستاذ عبد اللطيف الفوراتي:

شكرا لكم جميعا و الكلمة الآن للأستاذ الفيلاي و لتوقيع بعض النسخ من الكتاب.

الأستاذ مصطفى الفيلاي

لا تنمية إلا بإنشاء العمل و القضاء على البطالة

لا أود التعليق على الملاحظات لأن الوقت لا يسمح و لكن فقط أريد أن أقول أمرا هو أن ما ورد في هذا الكتاب هو ما أؤمن به فعلا، أؤمن أنه لا تنمية في بلادنا و البلدان العربية و غير العربية إذا لم ترمي هذه التنمية إلى العمل و إلى إنشاء العمل و القضاء على البطالة و هو إيمان مبني على عقيدة و على تجارب عديدة يعرفه الأستاذ الشاذلي فقد اشتغلت في منظمة العمل الدولية مدة خمس سنوات على مستوى المغرب العربي و باشرت قضايا البطالة و الهجرة و الملائمة بين التكوين و طلب السوق و غيرها من القضايا المعروفة في اجتماعية العمل. نحن في أوطاننا محتاجون إلى اجتماعية العمل من الناحية النظرية و من الناحية التي ذكرها صديقي الأستاذ الصادق بالعيد. الشيء الثاني الذي أؤمن به هو أن القضاء على البطالة و توفير أكبر عدد ممكن من فرص العمل و القضاء على الهجرة و ما أدراك ما الهجرة لا يمكن أن ننهض به إلا بالعمل. ما هو البديل للدولة؟ هو المؤسسات متعددة الجنسيات. هل نعتقد أن هذه المؤسسات له من الأغراض أن توفر العمل و تقضي على البطالة و توفق بين الإنتاج المدرسي و طلب السوق؟ هل من مقاصدها أنها تحد من نزيف الهجرة؟ و قد جعلت أبواب كثيرة تتحدث عن الهجرة لأنها تحز في نفسي و حاولت أن أقدر ما ليما ما هي

جديدا. فليس من الممكن لك أن تقول نحن نريد أن نبني مجتمع التقدّم ، مجتمع العلم، مجتمع العولمة، و تقول أنه سوف نرجع إلى ما قاله عمر ابن الخطاب أو إلى تأويل فلان و فلان. و كما رأيت أن كل من سبقني في الخطاب قال الإسلام في فهمه الحقيقي إذن أين هي المرجعية المتفق عليها فالكل يقول هذا ما جاء به الإسلام، الميدان ليس هذا، الميدان هو عولمة و علم، العقيدة شيء محترم و تبقى لها أهميتها لكن لا أرى أن الأمر صالحا في أن يدخل أو أن تقحم الاعتبارات العقائدية في كل مكان و في كل زمان . و شكرا.

الأستاذ علي منجور

الأستاذ الفيلاي رجل العمل رغم سنّه المتقدم

شكرا لكم، و بدون إطالة أنا أعتقد أن هنالك شيئا هاما في الكتب هو المؤلف و كم من مرة مثلا نجد كتاب حول السلم و نجد أن كاتبه هو من المحرضين مثلا على غزو العراق. أنا سوف لن أقول شيء عن الكتاب لأنني لم أقرأه و لكني تناقشت مع صديقي الأستاذ الفيلاي، و لكن ما أريد أن أبلغه إلى الجميع من هو مصطفى الفيلاي الذي في الكتاب، فإن في كتابته صداقية تامة لأن صاحب هذا الكتاب يؤمن فعلا بالعمل و لمن لا يعرف فإن الأستاذ مصطفى قد انتهى الآن من بناء الجامع الثاني برادس و قد أشرف عليه من أوله إلى آخره فتخيلوا كيف أن الأستاذ مصطفى يقف بنفسه صيفا و شتاء على العمل و العمال في بناء الجامع ، و كم من مرة أتصل به في البيت فيقال لي هو في قابس هو في نابل إلى غير ذلك. فهو لم يكتب الكتاب هكذا لمجرد آراء بل هو رجل العمل و قد أعطانا في "رادس" المثل على هذا أي العمل الكتابي و كذلك العمل الميداني. و شكرا

كلفة الهجرة، عندما يخرج حفيدي من تونس ليعيش في كندا أو أمريكا أو فرنسا ما معناه؟ معناه أن تونس أهدت إلى باريس ما أنفقته العائلة التونسية طيلة 20 سنة ما أنفقه المجتمع طيلة 20 سنة و ما أنفقته الدولة طيلة 15 سنة لتخرج هذا الطبيب أو المهندس أو الصيدلي و حاولت تقدير هذه الكلفة و بالاعتماد على دراسات وقعت في فرلندا على كلفة تكوين الإنسان و أنا أتذكر أنه عندما كنا في مركز الدراسات الاقتصادية والاجتماعية محمود السفلاني الله يذكره بخير قام بدراسة حول كلفة التعليم في تونس و حاول أن يقدر ما يتكفله المجتمع و الدولة لتخريج الكفاءات.

معضلة هجرة الأدمغة للغرب

قرأت في منشور لعمادة الأطباء الجزائريين في السنة الفارطة أن هناك 7000 طبيب جزائري يشتغل في فرنسا و قال هذا التقرير أن هذا العدد يساوي إنتاج الجامعات الجزائرية طيلة 10 سنوات. فإذا كان كل طبيب تكلف تعليمه بكذا من ملايين الدولارات و أهدتها الجزائر إلى فرنسا و فرنسا أخذت ذلك هدية باردة فمن يعين الآخر حسب رأيكم؟؟ ففرنسا تعطينا لكي نبني سدا أو مدرسة أي أنه استثمرت ينتهي و عندما نعطيها نحن طبيباً فنحن نعطيها شخصاً يشتغل 20 سنة أخرى و لم يكلف المجتمع لتخريجه و لو ملين واحد. لذلك لا بد من إعادة النظر في قضايا الإغارة بين الدول المتقدمة الغنية و الدول الفقيرة.

اعتمدت كثيرا على أمثلة ثلاثة : اليابان و هولندا و سويسرا.

اليابان 320000 كلم مربع مساحة 400 أو 500 جزيرة يابانية 80% جزر بركانية، سكان اليابان 130 مليون المساحة التي توفر لهم الكفاية الغذائية من الأرز تساوي

مساحة الوطن القبلي في تونس اليابان تنتج 6% من موارد الطاقة التي تحتاجها اليابان تتفق سنويا مئات الملايين لمقاومة الاهتزازات البركانية و مع ذلك ففي أي مرتبة نجد اليابان عالميا؟ نجدها في المرتبة الأولى في عديد المجالات، اليابان بلد فقير يسكنه شعب غني بشيء واحد فقط هو العمل. و هنالك كتاب أتمنى أن يقرأه الجامعيون لشخص اسمه اكيي موريتا هو الذي كون إمبراطورية سوني الذي توفي منذ أربع سنوات ألف كتابا اسمه « made in japon » بالفرنسية و لماذا هذا الاسم لأنه كان يعيش في أمريكا و الأمريكيون عندما يرون شيئا جديدا يقولون هذه العبارة. فالكتاب حمل هذا الاسم حتى يبين لهم أن اليابان تصل في المرتبة الأولى في ميدان الإنتاج العلمي و الفكري و التقدم التكنولوجي و تفوقت على الولايات المتحدة الأمريكية و أصبحت في المرتبة الأولى و هي تبيع لشركات الطائرات الأمريكية المواد الالكترونية التي تحتاجها. و أنصحكم بقراءة هذا الكتاب ذو 350 صفحة لتعرفوا كيف أن هذا الشخص يتحدث عن تجربته و تجربة بلاده و ما يخصصه للبحث العلمي فشركة سوني تخصص للبحث العلمي أكثر مما تخصصه دول شمال إفريقيا الثلاث مجتمعة فبالبحث العلمي التطبيقي وصلت اليابان إلى تحقيق التقدم التكنولوجي و المعرفي و إذا أردنا استعمال كلمة رسالة فهي حامية و ليست رسالة و هناك جملة كتبها مفكر عربي اسمه الراغب الاصفهاني يقول : " من تعطل و تبطل انسلخ من الإنسانية بل من الحيوانية و صار من جنس الموتى" (تجدونها في الصفحة 301 من الكتاب).

هذا إذا هو سداد المبادرة التي بادر بها الأخ الأستاذ إسماعيل بولحية في هذه الحركة حتى يكون الخوض في هذه القضايا الفكرية و السياسية و ليس النظرية بل هي متصلة بحياتنا

و بواقفنا و بمشاكلنا و بأولادنا الذين يركبون قوارب ليموتوا
على سواحل ايطاليا. فنحن نعيش في واقع و لسنا نسبح في
الخيال و هذا الواقع هو ما تجدونه في الكتاب و هو مبني على
مشاغل الواقع في المجتمع التونسي و المغربي و العربي
بصفة عامة. و أشكركم على حسن المتابعة.

الأستاذ إسماعيل بولحية

أشكركم على الحضور و المشاركة و ادعوكم إلى
حقل بسيط على شرف المحققى به الأستاذ مصطفى الفيلالي.
و السلام.